مجلة أبحاث
ISSN: 0834-2170
EISSN2661-734X
المجلد 06 / العـدد: 02 (2021)، ص 261– 280

دور زاوية الهامل في الصلح

The role of Zawyet Al Hamel in reconciliation

بوخاري بايزيد ، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، بوزريعة، boukhari.baizid@univ-alger2.dz

أد.بوسعادة رشيد ، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، بوزريعة، boussaadadz@yahoo.fr

تاريخ الاستلام : 24 /2021/09 تاريخ القبول: 21 /2021/11 تاريخ النشر: 31 /2021/12

ملخص:

فض النزاعات وإصلاح ذات البين دور هام قامت بها أغلب الزوايا في الجزائر وأهميته تكمن فيما يحدثه من تماسك ووحدة وترابط في المجتمع وحفظه من الفتن والتفكك والطائفية.

ومن بين الزوايا التي قامت بدور الصلح نجد زاوية الهامل التي جعلناها نموذج لدراستنا اهتمت بمهمة فك النزاعات على غرار أدوار أخرى منذ تأسيسها على يد محمد بن أبي القاسم الهاملي سنة 1841 أي في فترة الاحتلال الفرنسي وبذلك نشأت في ظروف صعبة خاصة بعد التشديد على المدارس القرآنية والزوايا والضغط عليها وذلك بمشاركتها في معظم الثورات ضد الاحتلال الفرنسي وكان قادتها شيوخ الزوايا.

فزاوية الهامل كمؤسسة دينية غير رسمية في الجزائر كان لها أن قامت بإنجازات اجتماعية ودينية وسياسية هامة قد تخطت مؤسسات رسمية كالقضاء أو فشلت في القيام بها أصلا، كإحدى مسؤولياتها، كفض النزاعات وتحقيق الصلح بين الناس وما يؤدي إليه من تماسك اجتماعي، وقامت بأدوار اجتماعية مهمة، خاصة في ضل التطورات التكنولوجية والعولمة وما صاحبهما من تغيرات في البنى الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: فض النزاع ; الصلح ; زاوية الهامل ; دور

تصنيف JEL : XN2، XN1.

Abstract :

Settling disputes and self-reform are an important role played by most of the Zawaya in Algeria, and its importance lies in the cohesion, unity and cohesion of society and preserving it from discord, disintegration and sectarianism.

The Zawia of al-Hamel is Among the Zawayathat played the role of reconciliation, which we made a model for our study concerned with the task of resolving disputes along the lines of other roles since its establishment by Muhammad bin Abi al-Qassim al-Hamli in 1841, that is, during the period of the French occupation, and thus it arose in difficult circumstances, especially after the emphasis on Qur'anic schools and the Zawaya; and pressure on it, through its participation in most of the revolutions against the French occupation, and its leaders were the sheikhs of the Zawaya.

The Zawiya of El Hamel, as an informal religious institution in Algeria, has had important social, religious and political achievements that surpassed official institutions such as the judiciary or failed to do them at all, as one of its responsibilities, such as settling disputes and achieving reconciliation between people and the social cohesion that leads to it, and has played important social roles, Especially inlight of

technological developments and globalization and the changes that accompanied them in the social structures.

Keywords: Settling disputes; Reconciliation; The Zawia of al-Hamel; The role

Jel Classification Codes: XN1, XN2.

مقدّمة:

الاختلاف طبيعة جبل عليها البشر، كما أن الإنسان اجتماعي بطبعه، لذا فتفاعله ومعاملته مع غيره حتمية اجتماعية أيضا، من هنا قد تقع بين الأفراد أو الجماعات خلافات وبتطورها تحدث خصومات ونزاعات قد تؤدي إلى ما لا يحمد عقباه من هدر للدماء والأموال وهتك الأعراض، وغيرها، فكان لابد من تحكيم العقل السليم والمنطق بحكمة بالغة وتجلى ذلك في استعمال وسيلة لفك النزاعات وإنهاء الخصومات، وهي الصلح أو إصلاح ذات البين، وأردنا أن نعالجه كموضوع من الجانبين، الفقهي والقانوني، في قالب سوسيولوجي، نظرا لأهميته التي تكمن في رد المظالم وإزالة الحقد والضغائن وتحقيق وحدة المجتمع، خاصة وأنه أصبح موضوع الساعة نظرا لكثرة النزاعات والخلافات في وقتنا الحالي.

ففض النزاعات وإصلاح ذات البين دور العقلاء وذوي العلم والحكمة كالعلماء وشيوخ القبائل والعشائر وشيوخ الزوايا، فمثلا زاوية الهامل التي جعلته إحدى اهتماماتها إضافة إلى تقوم به من أدوارها المختلفة منذ تأسيسها على يد محمد بن أبي القاسم الهاملي سنة 1841 أي في فترة الاحتلال الفرنسي وبذلك نشأت في ظروف صعبة خاصة بعد التشديد على المدارس القرآنية والزوايا والضغط عليها وذلك بمشاركتها في معظم الثورات ضد الاحتلال الفرنسي وكان قادتها شيوخ الزوايا.

فمثلا القضاء في الجزائر بعدما كان يخضع للشريعة الإسلامية، "صدر أمر من السلطات الفرنسية في 18 فيفري 1841 يتضمن التنظيم القضائي في الجزائر وانتزعوا بموجبه من القضاة المسلمين صلاحيات البت بالأمور الجزائية، وبذلك فقد تم مسح القضاء الوطني نهائيا، وأصبح مقتصرا دور القضاة الشرعيين على الأحوال الشخصية، وحتى هذه الأخيرة سعت السلطات الفرنسية بوسائل ملتوية لإخضاعها للقوانين الفرنسية، وإلغاء الاحتكام للشريعة الإسلامية من خلال قانون (سناتور كونسيلت)" (سليمان، 1995، ص 52)

فلجأ الشعب إلى الزوايا لفض نزاعاتهم وحل خصوماتهم ليس فقط أثناء الاحتلال بل وحتى بعد الاستقلال.

وأصبحت الزاوية ملجأ للمتخاصمين وقبلتهم وهي محكمتهم في جل قضاياهم، وفي هذا الصدد قال عنها الكاتب الفرنسي lehraux leon خلال زيارته إلى الزاوية:" ومن الجدير بالذكر أن التأثير الروحي لقائد هذا المركز – يقصد زاوية الهامل – كانت له تأثيرات مدنية حيث توصل إلى جعل أولاد نائل يرجعون إليه في حل خلافاتهم حتى غير المدنية"(Leon , 1952 P81).

وبالرغم من كثرة من كتبوا عن الزوايا، إلاّ أن جل دراساتهم وبحوثهم وكتبهم التي تناولت الحديث عنها وعن أدوارها، أهملت هذا الدور ولم توفيه حقه من البحث والدراسات الميدانية وسنتطرق لذلك في ذكر الدراسات السابقة.

كل هذا جعلنا نطرح التساؤل التالي:

كيف لمؤسسة دينية غير رسمية كالزوايا في الجزائر عامة وزاوية الهامل بالخصوص أن تقوم بإنجازات اجتماعية ودينية وسياسية هامة قد تتخطى مؤسسات رسمية كالقضاء أو تفشل في القيام بها أصلا، كإحدى مسؤولياتها، كفض النزاعات وتحقيق الصلح بين الناس وما يؤدي إليه من وحدة المجتمع، خاصة في ضل التطورات التكنولوجية والعولمة وما صاحبهما من تغيرات في البنى الاجتماعية ؟

وافترضنا الفرضيتين الآتيتين:

* استطاعت زاوية الهامل القيام بدور الصلح وفك النزاع كقيامها بمختلف الأدوار الأخرى اجتماعية وثقافية وتربوية

* ولازالت الزاوية تقوم بدورها إلى اليوم بالرغم من تحديات العولمة ونتائجها والتغيرات التي طرأت على مختلف الأنساق في المجتمع.

ونهدف من خلال هذه الورقة البحثية إلى تعميم الفائدة لتشمل الطلبة والباحثين والمهتمين خاصة بموضوع الصلح في الزوايا كمؤسسات دينية، لدعم البحث العلمي وزيادة المعرفة العلمية،

أيضا إبراز أهمية الصلح في الحفاظ على وحدة المجتمع الجزائري وكيانه وثقافته.

وأهم أهدافنا هو إزالة الغبار عن مهمة إصلاح ذات البين وفض النزاعات التي كانت ولا تزال تقوم بها الزوايا، إلا أنها تراجعت شيئا ما في وقتنا الحالي وهذا كي ننصفها ونعطيها حقها في هذه المهمة إضافة إلى الأدوار النبيلة الأخرى التي تقوم بها، في وقت أتهمها الكثير بالضلال وإثارة البدع والهوى نتيجة لفهم خاطئ في أذهان فئة من الناس سببه الاحتلال الفرنسي عندما شوه صورة الزوايا وحرف وظائفها وزور مفاهيمها الدينية والاجتماعية والتربوية والثقافية.

وقد اعتمدنا **المنهج الوصفي التحليلي** الذي يمكننا من تتبع تفاصيل الظاهرة الاجتماعية الدينية ووصفها ضمن منظمتها المعرفية، هذه الظاهرة المتمثلة في دور زاوية الهامل في الصلح وإنهاء النزاع،

ف "المنهج الوصفي يرتكز على وصف دقيق وتفصيلي لظاهرة ما أو موضوع محدد على صورة نوعية أو كمية رقمية، وقد يقتصر هذا المنهج على وضع قائم في فترة زمنية محددة، أو عدة فترات، ويهدف في الأساس إلى تقويم وضع معين لأغراض عملية" (عبيدات ، 1999م، ص 47).

كما " يستخدم المنهج الوصفي في دراسة الأوضاع الراهنة للظواهر من حيث خصائصها، أشكالها، وعلاقاتها، والعوامل المؤثرة في ذلك، وهذا يعني أن المنهج الوصفي يهتم بدراسة حاضر الظواهر والأحداث، مع ملاحظة أنّ المنهج الوصفي يشمل في كثير من الأحيان على عمليات التنبؤ لمستقبل الظواهر والأحداث التي يدرسها" (عليان، 2000م، ص 43).

كما استعنا نوعا ما **بالمنهج التاريخي** عبر السياق التاريخي، في تتبع نشأة الزوايا وأدوارها والقضاء زمن الاحتلال الفرنسي.

أما بالنسبة للتقنية، فاعتمدنا **تقنية المقابلة** التي تعتبر الوسيلة الأساسية في الوصول إلى الحقيقة غير المكتوبة أو الموثقة بل عن طريق مقابلة الطرف الذي له صلة مباشرة بالموضوع والأخذ منه.

"وتهدف المقابلة العلمية إلى التعرف على الظاهرة أو الموضوع، بالبحث عن العلل أو الأسباب من خلال إلتقاء الباحث والمبحوث الذي يعطي المعلومات للباحث بعد إجابته على الأسئلة الموجهة إليه من قبل الباحث، وتنطوي المقابلة على سؤال وجواب وعلى سلسلة من التفاعلات الاجتماعية التي تعتمد على مجموعة رموز سلوكية وكلامية يقوم بها طرفا المقابلة. (عماد، 2007، **ص 72**)

2. الصلح:

ماهيته وأنواعه ومجالاته وفوائده وآثاره وأسباب لجوء المتقاضين للصلح.

1.2 تعريف الصلح:

1.1.2. لغة: الصُّلحُ: تصالُح القوم بينهم، والصُّلحُ: السِّلمُ، و قد اصطَلَحُوا وصَالَحُوا و اصَّلَحوا و تَصالحوا و اصَّالَحوا، بمعنى واحد، وقوم صلوح: متصالحون، كأنّهم وصفوا بالمصدر. (بن منظوَر، 1968، ص 517)

2.1.2. إصطلاحا: الصُّلح: انتقال عن حق أو دعوى بعوض لرفع نزاع أو خوف و قوقه. (بن عرفة، 2014، ص477)

3.1.2. التعريف الإجرائي للصلح: هو إزالة الخصومة ورفع النزاع أو تجنب وقوعه بين المتخاصمين والإصلاح بينهم عن طريق طرف ثالث محل صلح له مكانة، بدعوى منه أو من أحد طرفي النزاع أو من غيرهم.

2.2. أنواعه: هناك نوعين حسب أهل القضاء والقانون وهما: (عروي، 2012، ص 18)

- **الصلح القضائي الوجوبي:** يكون بعد رفع الدعوى قضائيا، يأمر به القاضي من تلقاء نفسه كما نصت عليه المادة 439 من قانون الإجراءات المدنية والإدارية، وليس للخصوم حق استبعاده لكونه مفروضا قانونا، ومصادقا عليه من طرف المحكمة.
- **الصلح الاختياري غير القضائي:** يكون دون رفع الدعوى إلى القضاء، وإنهاء الخصومة عرفيا.

3.2. مجالات ومواطن الصلح: (عرفة، 2006،ص 161-191)

1.3.2. مجالات الصلح في الشريعة الإسلامية:

- في حقوق البشر فقط، دون حقوق الله تعالى كالحدود والزكاة والكفارات.
- الصلح بين القبائل والطوائف
- الصلح بين مسلمين وأهل حرب بعقد الذمة أو الهدنة.
- الصلح بين الزوجين.
- الصلح في الجنايات.
- الصلح في المسائل المالية، كالميراث وغيره.

2.3.2. مجالات الصلح في القوانين الوضعية: يكون في كافة المسائل ماعدا التي تتعلق بالنظام العام ويكون في: الصلح الجنائي، والمدني، والإداري، والصلح في المسائل التجارية وغيرها.

3.3.2. مجالات الصلح العرفي:

- جرائم القصاص والدية.
- الجنايات، غير الحدود فلا يجري فيها الصلح ولا يجوز أصلا.
- المسائل المالية: كالديون والإرث ومشاكل التعدي على الأراضي والممتلكات.
- المشاكل العائلية وقضايا الأحوال الشخصية: كالزواج والطلاق مثلا.

4.3.2. أسباب لجوء المتقاضين إلى الصلح:

لما فيه من إيجابيات ومزايا، فقضاء الدولة يتميز بالنقائص، إذ يعتبر طريقا طويلا وشاقا للمتقاضين لانتزاع حقوقهم نظرا لطبيعته البيروقراطية وتعقيداته والمصاريف التي يفرضها على كاهل المتقاضين بالإضافة إلى مشاكل التنفيذ. **(نوح، 2014، ص11 و 12)**

بالإضافة إلى ما يخلفه القضاء من ضغائن وعداوة وتفريق بين الخصوم، وفي هذا يقول عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– : "ردوا الخصوم حتى يصطلحوا فإن فصل القضاء يورث بينهم الضغائن"**(البيهقي ، 66/6)**

5.3.2. فوائد الصلح في الإسلام: (عجور، 2012،ص 162، 685–695)

- قطع النزاعات والخصومات.
- درء المفاسد وجلب المصالح: لقد رخص الإسلام في الكذب، كوسيلة من وسائل الإصلاح بين الناس جلب المصلحة ودفع المفسدة، لتوحيد الصف، وتآلف القلوب، وسدا لباب النزاعات والخصومات، من ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:" ليس الكَذَّاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيرا أو يقول خيرا"**(صحيح البخاري، 240/3)**
- حصول الاتفاق والتراضي
- حصول العفو والمغفرة من الله تعالى: من ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم:" تفتح أبواب الجنَّة يوم الاثْنين، ويوم الخميس، فيُغفَرُ لكُل عبْد لا يُشْرِكُ بالله شيئاً، إلا رجلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخيه شَحْنَاءُ، فيُقَالُ أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا ، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا"**(صحيح مسلم،4/292)**
- حقن دماء المسلمين مع بعضهم ومع غيرهم.

6.3.2. آثار الصلح في المجتمع:

- الحفاظ على وحدة المجتمع وتماسكه
- الحفاظ على وحدة التراب
- إزالة بذور الطائفية
- الحفاظ على العادات والتقاليد والقيم الدينية والاجتماعية
- حفظ الممتلكات

3. الصلح في زاوية الهامل :

لم نتطرق للصلح في زاوية الهامل في الجانب النظري اجتنابا للتطويل واكتفينا بالجانب الميداني الذي هو ضمن مقابلة أجريناها مع القائمين على الزاوية، وتطرقنا بالتفصيل لأربع حالات صلح أجرتها الزاوية مع التحليل السوسيولوجي الديني.

1.3. تفريغ وتحليل أجوبة المقابلة للفرضية الأولى مع ذكر حالات الصلح مفصلة:

استطاعت زاوية الهامل القيام بدور الصلح وفك النزاع كقيامها بمختلف الأدوار الأخرى اجتماعية وثقافية وتربوية.

1- فمن أهم أهداف الزاوية التي تأسست عليها هي الصلح وفك النزاع ومحاربة النعرات القبلية وتوحيد المجتمع ولحمته.

وفرنسا لما دخلت الجزائر رفعت شعار فرق تسد والزاويا قابلتها بشعار "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا..." **(سورة آل عمران 103)**، وما أرادت أن تفرقه فرنسا جمعته الزوايا.

2- كما أنّ الزاوية عادة هي من تقوم بالمبادرة لطرفي النزاع بالصلح بينهما،

3- وجل حالات الصلح كانت تتم داخل الزاوية بداية ونهاية، غير أنّ معاينة حالة النزاع ونتائجها تستلزم التنقل لمكان وقوعه وحث طرفيه على الخير ووعظهم وتهدئة النفوس ثم دعوة الأطراف إلى الحضور بالزاوية لعقد الصلح والاتفاق على بنوده ثم إكرام الطرفين في مأدبة عشاء أو غداء وفي جو حميمي صاف.

4- وعن عدد حالات الصلح فهي كثيرة منذ تأسيس الزاوية على يد الشيخ محمد بن أبي القاسم، على حد قول أمين مكتبة الزاوية الشيخ أبي الأنوار، وكما حدثنا أيضا شيخ الزاوية الحالي مأمون القاسمي وأكد لنا أنّ الإصلاح بين الفرقاء من أهم شعب رسالة الزاوية،

5- أول حالة صلح أجرتها الزاوية تجلت في رسالة الشيخ محمد بن أبي القاسم رحمه الله إلى الإخوان الإباضيين،

وبالنسبة للشيخ دحية أبو الأنوار القائم بمكتبة الزاوية أول عهده بالصلح سنوات السبعنيات بين فريقين من قبائل منطقة الهامل بينهم دم قتل متعمد وما ينجر عنها من تحرشات، وكادت تكون كارثة لولا تدخل مشيخة الزاوية وحنكتها وجمعت الناس وتدخلت لإطفاء نار النتنة وتكفلت بكل الأعباء وساهمت بقسط من الدية. **(من المقابلة مع أمين المكتبة)**

6- كما أن الصلح لا يقوم به إلاّ شيخ الزاوية، أما طلبة العلم والمريدين فقد يقومون بحل نزاعات طفيفة أو التي تحصل في الأقارب، بين الزوجين مثلا،

7- وبالنسبة لحالات النزاع التي قام فيها بدور الصلح شيخ الزاوية أو التي حضر صلحها أمين مكتبة الزاوية، قد أدت إلى إزهاق الأرواح والقطيعة التامة التي قد فاقت أو تفوق مدتها السنة، ثم بعد الصلح تتصافى القلوب وترجع المياه إلى مجاريها، وتزول الضغينة ويتوحد المجتمع.

8- وبالنسبة للعراقيل التي قد تعترض الصلح فلا تكاد تخلو حالات الصلح من العراقيل، فهناك مصالح لمن يريد عرقلة الصلح أو تعنت أحد الطرفين، وكل العراقيل المحتملة يحسب لها حسابها، كما تقف النوايا الحسنة والصادقة ضد هؤلاء.

من خلال المقابلة والأ جوبة على أسئلة هذه الفرضية نتبين قيمة الدين وأهميته ودوره في تنظيم المجتمع وتماسكه، ومتمثلا في مؤسساته وقياداته وما تقوم به من وظائف تجاه المجتمع ووحدته.

فـ" الأديان تؤدي وظيفة إيجابية ذات أثرا عميقا في كيان الجماعة، حيث أنها تربط بين معتنقيها برباط من المحبة والتراحم، لا يعدله رباط آخر، من الجنس، أو اللغة، أو الجوار، أو المصالح المشتركة"**(دراز: الدين،1982،ص 101)**.

والدين أيضا "عبارة عن نظام متضامن من المعتقدات والممارسات المتعلقة بالمقدسات، أي المنفصلة والممنوعة، إن هذه المعتقدات والممارسات توحد جميع من يعتنقها في مجتمع معنوي واحد يسمى الكنيسة"**(ويلام، 2001،ص 26)**.

"ولتأكيد دور الدين في إشباع حاجة المجتمع إلى التماسك الاجتماعي نحاول استكشاف معنى الكلمة لغويا، حيث نجد أنّ كلمة الدين في اللغات الغربية مشتقة من الكلمة اللاتينية Religare التي تعني وحدة الجماعة وهويتها، ومن الكلمة Religere التي تعني ممارسة طقوس التعبد الخاصة بالجماعة، أما في اللغة العربية فتشير كلمة دين إلى المحاسبة، أي مواجهة الله يوم الحساب، أو المحاسبة تجاه المجتمع بفاعلية أصحاب (السيرة الصالحة والشأن الحسن)" **(ليلة، 2015، ص 73 و 74)**.

وما ساعد مؤسسة الزواية والقائمين عليها في تحقيق التماسك والتضامن الاجتماعي إضافة إلى دور الدين في ذلك هو كون مجتمع الدراسة مجتمع تقليدي بسيط تضيق فيه الفوارق الاجتماعية، يحتكم إلى الضمير الجمعي، و يعتمد في توازنه على قواعد وقيم دينية تحث على الوحدة وتنبذ النعرات وتحث على اجتناب الفوضى بين الأفراد، كل هذا الذي يسود في المجتمع ما يسميه دوركايم بالتماسك أو التضامن الآلي الميكانيكي، ضمن تقسيمه للتضامن الاجتماعي إلى قسمين والثاني هو التضامن العضوي.

إذن من خلال ما سبق ومن خلال توثيق وتحليل بعض الوقائع الخاصة بموضوع الصلح والتماسك الاجتماعي ودور الزاوية وشيوخها في ذلك، التي سمعناها من شيخ الزاوية المأمون القاسمي، وما سمعناه أيضا من أمين مكتبة الزاوية.

ومن حالات الصلح العديدة التي أبرمتها الزاوية نكتفي بذكر **أربع حالات**، حدّثنا عنها شيخ الزاوية الحالي الشيخ مأمون القاسمي بالتفصيل.

1.1.3. الحالة الأولى:

وهي رسالة الشيخ محمد بن أبي القاسم إلى الإخوان الإباضيين، على إثر حديث افتراه عليه جاهل أعماه التعصب فسارع الشيخ إلى قطع دابر الفتنة قبل انتشارها داعيا إلى التحلي بروح الأخوة والتسامح بين طوائف الأمة ومكونات المجتمع ونبذ التعصب والتنازع وأشاد في رسالته بالإخوان الإباضيين منوها بما عرف عنهم من تعظيم حرمات الإسلام وإقامة شعائر الدين، وتسامح مع المخالفين مذكرا بأن المسلمين أمة واحدة رابطة الإسلام تجمعهم وعروته الوثقى تؤلف بينهم،

ويواصل الشيخ مأمون حديثه **(من محاضرة له منسوخة سلّمني نسخة منها أثناء مقابلتي له)** عن رسالة الشيخ المؤسس، قائلا: " ويبدوا أن الشخص المفتري المشار إليه في الرسالة قد نشر أباطيله في بعض أوساط العامة محرضا على استباحة أموال الإباضيين باعتبارهم في زعمه خارجين عن الملة ولذلك ركز الشيخ في رسالته على التحذير من الجرأة على الله وتحكيم الأهواء وتضليل العامة بما يفضي إلى الظلم والعدوان، وأكل أموال الناس بالباطل، وإثارة الفتنة بين الأهالي.

حرر الشيخ رسالته بتاريخ 24 من المحرم عام 1310هـ كما هو مدون في آخرها، وقال فيه: "وقد سلمنا الرسالة للأخ في الله الفاضل السيد باحمد بن موسى بن عيسى، الإباضي مذهبا المليكي منشأ ومسكنا.."كما نشرت الرسالة بين الأهالي في مدن يوجد بها تجار من وادي ميزاب، كقصر البخاري، وقصر الشلالة، والجلفة، وبوسعادة.. إلخ.

وأسباب نشر الرسالة في العديد من المدن إضافة إلى سبب تواجد تجار من بني ميزاب بها، هو كون الشيخ ذائع في جل أنحاء الوطن وخوفه من حدوث فتنة باسمه، من خلال الافتراء عليه ثم الاقتداء به.

وهنا تكمن وظيفة الزاوية في ما يوفره الخطاب الصوفي من قيم الطاعة والولاء والخضوع للشيخ وهو ما يؤكده أركون، أن دخول مؤسسات الزوايا كعنصر في البنية الدينية كان عاملا في إعطاء مكانة رمزية للشيخ عن طريق إعادة إنتاج تعاليم مؤسسيها ومرابطيها. **(أركون، 1987،ص 79)**.

هذه الرمزية تعد إشارة أو علامة أو مفهوما أو كيانا ماديا يشير إلى شيء أو موضوع محدد ويعبر عنه، وتتجلى أهمية الرموز لكونها تستنفر وتنشط، وكذلك تنشر بصورة عامة المشاعر والعواطف تجاه موضوعات معينة، ذات أهمية تصل إلى حد القداسة، بالنسبة لأعضاء المجتمع، ومن ثم فهي تلعب دورا محوريا في تأكيد التزام البشر بطقوس وسلوكيات معينة نحوها، وهو ما يعد تأكيدا للتماسك الاجتماعي، وفي بعض الأحيان يمكن أن تؤدي هذه الرموز إلى انهيار التماسك الاجتماعي، إذا انتشرت ظواهر صراع الرموز في فضاء المجتمع، أو بين مذاهبه أو فئاته المختلفة **(ليلة ،2015 ص85)**، مثل ما جاء به هذا الشخص المفتري المذكور في رسالة الشيخ محمد بن أبي القاسم تفكير مخالف وهو إباحة أموال الإباضية، وفي نظره خارجين عن الملة.

2.1.3. الحالة الثانية:

حالة الصلح هذه كانت زمن الفوضى والفتنة التي وقعت في غرداية حيث كانت لشيخ زاوية الهامل مأمون القاسمي عدة زيارات إليها، حيث تنقل إلى مدينة القرارة خلال الأسبوع الذي وقعت فيه الأحداث في ديسمبر 2013 وكانت له لقاءات مع أعيان المدينة من مختلف الفئات بهدف إصلاح ذات البين وذلك في مسعى شخصي توج بالدعوة إلى ميثاق للأخوة المالكية الإباضية، ووثقت هذه الزيارة جريدة الخبر، وجريدة الشروق،

فيتحدث الشيخ مأمون القاسمي عن هذه الزيارة إجابة على سؤال صحفي الخبر،

أنّ الباعث على هذه الزيارة، هو ما يشغل بالنا من الأحداث المؤلمة من جراء الأحداث المؤلمة التي وقعت في مدينة القرارة، خلال الأيام الماضية وكان الهدف منها تهدئة النفوس وإطفاء نار الفتنة، والعمل لترميم علاقات الأخوة التي تجمع سكان هذه المدينة على اختلاف طوائفهم بما يعيد الألفة إليهم، ويوثق التعاون وحسن التعايش بينهم، وكما أعلنت قبل الزيارة وبعدها، فإن هذا المسعى يكتسي طابعا شخصيا، ويندرج ضمن الرسالة التي تنهض بها الزاوية القاسمية منذ تأسيسها، ومن أهم شعبها السعي لإصلاح ذات البين، وجمع الكلمة، والعمل لنشر السلام، والوئام بين أفراد المجتمع، والمحافظة على وحدته وتماسكه.

ومن فضل الله عليا أنّ علاقتي وثيقة بالعلماء وبكبار الرجال والأعيان في مدينة القرارة، وروابط الأخوة والمحبة قديمة بين أسلافهم وبين شيوخ الزاوية القاسمية، وقد وجدت لديهم جميعا الترحيب والحفاوة المعهودة واستمعت من كلا الطرفين إلى شروح وافية لما جرى بالأمس القريب، ولرواسب الماضي البعيد وتراكماته عبر السنين،

لقد تعددت اللقاءات يوم الجمعة التالي للأحداث بدأتها في ساعة مبكرة واستمر إلى الليل كان النقاش هادئا والحوار هادفا وكان الجميع يتحلى بالحكمة، أما بشأن الفئة القليلة التي أظهرت تشددا في الموقف وكانت ترفض الذهاب إلى جلسات الحوار من أجل عقد الصلح فقد اقتنعوا بتوفيق الله واستجابوا للمسعى وهكذا وافق الجميع على الجنوح للصلح،

وأهم ما توجت به هذه اللقاءات هي الدعوة إلى إيجاد إطار كفيل بضمان التعايش والتعاون وحسن الجوار، وتحقيقا لهذا الهدف اقترحت أن يتوافق الجميع ويتعاهدوا على ميثاق للاخوة المالكية الإباضية يحترمه الجميع، ويستند إلى قواعد شرعية ومعايير أخلاقية، وينبثق عنه مجلس استشاري مشترك، يضم ممثلين للفئتين من أهل الرأي الذين يتحلون بالحكمة والمكانة الاجتماعية، ويكون الإطار الدائم للتشاور، كما يكون الضمان لحسن التعايش والتعاون، وقد لمست ترحيبا بهذا المقترح لدى الجميع، وتثمينا لأهدافه البعيدة **(من حواره مع جريدة الخبر سلمني نسخة منه أناء مقابلتي معه، نشرته جريدة الخبر في يوم الجمعة 19 ديسمبر 2013)**،

من هنا تظهر أهمية الدين ودوره في إشباع حاجة المجتمع إلى التماسك الاجتماعي من خلال الأداء الوظيفي المباشر، الذي ينجزه الدين لصالح بناء المجتمع، وتتمثل الوظيفة الأولى في دعم الدين لتماسك المجتمع وتأكيده لذاته من خلال تقديس المعاني والرموز، (الميثاق وما يستند إليه) التي تجسد وجوده وتؤكد وحدته وتماسكه، إلى جانب ذلك يؤدي الدين وظيفة تقديم الدعم والطاقة للمجتمع في أوقات الأزمات **(علي ليلة، 2015، ص 65)**، وذلك من خلال ما تقوم به القيادات والمؤسسات الدينية التي يمثلها.

وفي 15 نوفمبر2015 أرسل الشيخ دعوته لميثاق الأخوة المالكية الإباضية إلى القائمين على الهيئات الدينية والعلمية والمؤسسات الاجتماعية والخيرية في ولاية غرداية،

ومن بعض ما جاء فيها(... يسعدني أن أعلمكم أنّ رحاب الزاوية القاسمية مفتوحة لاحتضان أي لقاء ترونه يخدم هذا المسعى وهي على استعداد لاستضافة اللجنة التي تفوضون إليها صياغة المشروع المقترح... إن مسعانا نبتغي به وجه الله ونرتجي أن يكون لنا معكم حظا وافرا من فضل الله، الذي يوتيه من يصل بين المؤمنين ويصلح ذات البين وقد جاء في ذلك قوله تعالى: " **لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**"النساء 114 ، وعن أبي الدّرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ

وَالصَّدَقَة ؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ إِصْلَاحُ ذَات الْبَيْن، فَإِنَّ فَسَاد ذَات الْبَيْن هِيَ الْحَالِقَة، لَا أَقُولُ تَحْلِق الشَّعْر وَلَكِنْ تَحْلِق الدِّين" **رواه أحمد وأبو داود** ... ودمتم في حفظ الله ورعايته) **(مقتطفات من رسالته التي أرسلها إلى أعيان غرداية أمدني بها شيخ الزاوية عند مقابلتي له).**

وفي هذا السياق يؤكد التحليل الوظيفي للدين فكرة التكامل الذي ينصب على التضامن البشري أو على التماسك بين البشر المشاركين في النسق الديني، أو على أثر الدين كمخفض للتوتر ومسكن للعداء بينهم.

وفي المقابل يشير شنيدر إلى أن الدين ليس عامل تكامل في كل الأحوال فقد يكون عامل مفككا كما يحدث في حالة الصرع بين الأديان أو الفرق المختلفة للدين الواحد **(السمالوطي ،1981، ص 135،136).**

3.1.3. الحالة الثالثة:

صلح أجراه الشيخ مأمون القاسمي في عرش الزناخرة نشب بينهم نزاع بسبب الانتخابات أفضى إلى إراقة دماء، كان ذلك في سنة 2002، حينها كان الشيخ قادما من خارج الوطن وفي طريقه إلى الزواية سمع بأن هناك وفاة في أحد بيوت عرش الزناخرة في نواحي حاسي فدول وبوغزول و قصر الشلالة والشهبونية والعرش على علاقة حميمية بالزاوية فقصد أهل الميت معزيا وعندما وصل جلس في قاعة الضيوف الذين جاؤوا للتعزية فعزى أهل الميت لحظتها أحس أن هناك تنافر بين الأشخاص ونظراتهم توحي بذلك، فسأل أحد الحاضرين ذلك فقال له أن قصة الوفاة نزاع بسبب الانتخابات أدى إلى إزهاق روح، ثم أخرجه من القاعة شخص آخر من الحاضرين وهو ضابط في الدرك الوطني ليحدثه على انفراد وعلم انه شيخ زاوية الهامل وفي ذلك طلب منه المساعدة والتدخل في القضية لأجل إنهاء النزاع، وقال له يا شيخ إنا عملنا ما هو واجب علينا عمله واتخذنا التدابير اللازمة لكن لم تستطع فك النزاع.

فالشيوخ في المخيال الاجتماعي هم ممثلين للقداسة المستمدة من الدين لا ينبغي معارضتهم، فالسلطة توظف الحركة الصوفية عندما تعجز أو تضعف السلطة السياسية المركزية انطلاقا من خطابها المباشر والمقنع، وهذا ما أكده الجابري" توظيف الدين في السياسة إنما يلجأ إليه العقل السياسي للجماعة عندما لا يكون من مصلحتها التعبير عن قضيتها الاجتماعية والاقتصادية تعبيرا صريحا ومطابقا لأن ذلك يفضح الطابع المادي الاستغلالي لتلك القضية أو عندما لا تستطيع تلك الجماعة ذلك بسبب وعيها بنتيجة عدم بلوغها مستوى من التطور يجعلها قادرة على طرح قضيتها الاجتماعية طرحا مكشوفا" **(الجابري، 1996، ص 118).**

ويحدث الشيخ مأمون: "... بعدما سمعت ما حدث نصحت الجماعة ووعظتهم بكتاب الله وسنة رسوله، ثم دعوتهم إلى الصلح و طلبت منهم أن يأتوا إلى الزاوية وضربنا موعدا وأتوا إلى رحاب الزاوية الفسيحة فسمعت من الطرفين وأرشدناهم ووعظناهم ونبهناهم إلى خطورة الفتنة، وما تأتي عليه من الأخضر واليابس و البشر والشجر، وفهموا واستجابوا للصلح بفضل الله، وجمعناهم في مأدبة غداء في قاعة ضيقة حتى يحتكوا ببعضهم البعض وطلبنا منهم أن يسلموا على بعضهم ويقبلوا رؤوس بعضهم البعض وتسامحوا وتصالحوا، وعند خروجهم من الزاوية طلبني أحد الحضور من الطرفين وعلى انفراد، وطلب مني أن أعقد لهم جلسة أخرى لكن هذه المرة في بلادهم عند عرش الزناخرة حتى يشيع الصلح ثمّة بين الأهالي وسكان المناطق المجاورة واستجبت لطلبه وعقدنا موعدا وذهبت إليهم واتفقنا على أن يكون الغداء عند الطرف الأول والعشاء عند الطرف الثاني تخللت كل منهما مواعظ وإرشادات ورجعت المياه إلى مجاريها وتصافت القلوب وتوحدت الجماعة إلى يومنا هذا، وذلك بعد طول قطيعة دامت لسنوات لا يتعاملون مع بعضهم ولا يتزوجون من عند بعضهم البعض وكانت الرغبة في الثأر تزداد خلال تلك الفترة إلى غاية إبرام الصلح**(من مقابلتي مع شيخ الزاوية مأمون القاسمي).**

هنا تكمن أهمية دور الدين في التماسك الاجتماعي، فالوظيفة الأساسية للدين حسب دوركايم هي خلق وتدعيم الاحتفاظ بالتضامن الاجتماعي. كما يرى أن الأفكار والممارسات الدينية إنما تشير أو ترمز إلى الجماعة الاجتماعية **(القصاص، 2008، ص 84).**

4.1.3. الحالة الرابعة: في ناحية أولاد جلال حدثت خصومة بعد الاستقلال بسب نزاع على حدود الأراضي الرعوية بين الأعراش وتتكرر مثل هذه النزاعات وأفضى هذا النزاع إلى إزهاق روح والعياذ بالله فقتل هؤلاء من الفريق الآخر وسعى الفريق الآخر إلى الأخذ بالثأر، وأيضا قتلوا من الطرف الآخر، وكانوا كلهم متأهبين لمزيد من الثأر حتى اضطرت السلطات في ذلك الوقت، للتدخل وفصلت بينهم بالجيش، وبذلت مساعي عديدة وحاولت السلطة احتواء الوضع ولكنها فشلت، وبعد أسابيع من التوتر والوضع السائد طلب إلى الوالد الشيخ سيدي مصطفى وكان شيخ الزاوية في ذلك الوقت، من والي باتنة لأنها كانت تابعة كلها للأوراس ووالي التيطري سي فخار مكي، لأن التيطري أيضا جزء منه محسوب على الأعراش المتنازعة، والمحافظ الطاهر لعجال (ضابط الولاية السادسة إبان الثورة التحريرية)، اتصلوا كلهم بالوالد وبدأ المسعى في الاتصال بالفريقين وتمهيد للأجواء، والشيخ خليل زارهم عدة مرات، والخلاصة وهذا هو المهم بعد طول توتر، والوضع يتفاقم خطره، والأعراش معروفين بالشدة، والسلاح كان مازال موجود بعد الثورة بفترة وجيزة، لكن بفضل الله سبحانه وتعالى وبحسن توفيقه تم نجاح المسعى ودعي الجميع إلى الزاوية هنا أيضا، وكان يوم مشهود حضر فيه الجميع واستمعوا إلى الكلمة كما تعودوا أن يسمعوها كانت موعظة من الوالد رحمة الله عليه وحوش الكرمة كان غاص، والحمد لله التقى الجميع، جاؤوا وقلوبهم مليانة ولكن والحمد خرجوا متسامحين وأكلوا الطعام مع بعضهم البعض، بعد طول قطيعة وبعدما تمكنت الأحقاد والثارات من النفوس.

2.3. تفريغ وتحليل أجوبة المقابلة للفرضية الثانية:

لازالت الزاوية تقوم بدورها إلى اليوم بالرغم من تحديات العولمة ونتائجها والتغيرات التي طرأت على مختلف الأنساق.

1- وعن أفضل مرحلة مرت بها الزاوية يقول أمين مكتبة الزاوية أنها كانت غداة استقلال الجزائر هو أنها خرجت جحافل من الطلبة كانت مهمتها التعليم وهم كثر وأنا منهم **(أمين المكتبة يتحدث عن نفسه، أثناء المقابلة كمثال، حيث أنه تخرج من الزواية مباشرة إلى التعليم الابتدائي ثم المتوسط ثم التقاعد)** ، والقائمة طويلة فالزاوية تخرج بالمئات من كل سنة وترمي بهم إلى التعليم، تعليم أبناء المسلمين. وذلك لأن الزاوية تصدت لتعليم القرآن والعلم والفقه لأبناء الجزائر وإنقاذهم من سياسة التجهيل وطمس معالم الهوية الوطنية والدينية التي جاءت بها فرنسا وتركت آثارها في الشعب الجزائري فاحتضنت الزاوية المئات من طلبة الجزائر إذ ارتفع عددهم إلى حوالي 1500 طالب أو أكثر لتعليمهم وكان ذلك في فترة **الشيخ خليل القاسمي (أحد الشيوخ الذين تعاقبوا على مشيخة الزاوية)** عندما افتتح المعهد القاسمي يوم الاحتفال باستعادة استقلال الجزائر، ضمن مؤسسات التعليم الحر تحت إشراف جيش التحرير الوطني، وأدخل تغييرات في منهجية التعليم واستقطب أكبر عدد ممكن من الطلبة حيث استطاع أن يخرج دفعات متتالية من معلمي العلم لهذا الوطن، وكان ترتيب المعهد القاسمي في نتائج البكالوريا الثالث على مستوى الوطن.

وهنا نتبين دور الدين والمؤسسات الدينية في التغير الاجتماعي حيث يساهم الدين ورجاله في إحداث التغير الاجتماعي، ويعتبر سلاحا ناجحا في إحداث التغيير الاجتماعي المنشود ذلك لأن أفراد المجتمع يؤمنون كثيرا بأهمية الدين ودوره في علاج العديد من المشكلات الاجتماعية التي تعترض حياتهم ومجتمعاتهم.

2- كما أن أسوأ مرحلة مرت بها الزاوية سنة 76م يوم أعلنوا التعليم العام وأغلقوا المعاهد العلمية التابعة للتعلبم الديني، فالتعليم العام أثر أيما تأثير، ولم تكن هناك مواجهة للحدث سوى أن تكون مؤسسة تابعة للدولة تخضع لما أملته الدولة،

فالزاوية هنا ترجع إلى الطريقة التقليدية وتساير التغير الاجتماعي الحاصل حفاظا على سمعتها وحفاظا على تماسك المجتمع فهي مؤسسة حقيقة غير رسمية، لكنها تابعة للدولة وتخضع لقوانينها وما أملته.

3- الانحراف الثقافي الوافد، تيارات مذهبية وفدت إلينا فأساءت، و المجتمع بقي محافظا نوعا ما على قيمه، ولا تملك الزاوية تجاه هذه التغيرات سوى أن تسير سيرة المجتمع، وإذا كان المجتمع أثرت عليه العولمة – ولا أظن ذلك **(هذا الاعتراض للشيخ أمين المكتبة أيضا ضمن إجابته على أسئلة المقابلة)**-، فالعولمة عبارة عن موضة من الموضات مصيرها أن يأتي يوم وتصير قديمة.

فمن وظائف الدين الست التي حددها أودي:

– أنّ الدين يمد الإنسان بالقوة لمواجهة الواقع، وعند تعرضه لخيبة الأمل يجد فيه ما يواسيه كما يمده بشعور الرضا لمواصلة الحياة، وبهذا فهو يساعد على إقامة القيم، بنشر الفضائل وتقليل الرذائل.

– أيضا صفة التقديس التي يضفيها الدين على معايير وقيم المجتمع تجعل سيطرة أهداف الجماعات على رغبات الأفراد، ولما كان الانحراف شيئا متوقعا، لا بد من وجود أنظمة لضبطه، ويقوم الدين بهذه الوظيفة (**الخشاب ،1988م،ص 102،101**).

وفي حالة مواجهة المجتمع للانهيار، فإن الدين يصبح آلية لتغيير الوضع القائم للمجتمع، إلى مجتمع أكثر تماسكا، وتكاملا، واستقرارا.

4– مازال المجتمع يحافظ على بعض مما نؤمن به، فمثل هذه الزاوية عدم مراعاة فضلها وقيمتها يعد من نكران الجميل،

فالزاوية ذاع صيتها في الأفق تخرج منها الكثير من العلماء ودرس بها آخرون وزارها محبون ومشتاقون حتى الأجانب وكتبوا عنها، وأقروا بفضلها ودورها الكبير على المجتمع، وذلك بتوفيق الله ثم بجهود مشايخها وطلبتها ومريديها وغيرهم، ذلك الدور المهم الذي لا ينكره إلاّ جاحد.

وهناك عدة عوامل تجعل الزاوية محافظة على دورها بالرغم من تحديات العولمة:

العامل الأول: الضبط الاجتماعي: فالدين يلعب دورا مهما في الضبط الاجتماعي عن طريق القيم الدينية، من خلال مؤسساته وقياداته الدينية بالتأثير في سلوك الأفراد والجماعات طبقا لمنظومة القيم والمعايير السائدة في المجتمع.

إذن "يسعى الدين إلى تأكيد التكامل والتماسك الاجتماعي، إما من خلال الوجود الرمزي المباشر لقيم الدين والثقافة في فضاء المجتمع لتوجيه سلوكيات البشر، أو تحول هذه القيم إلى تقاليد ومعايير وأعراف تراقب هذه السلوكيات في مختلف المجالات"(**علي ليلة، 2015، ص 64**).

العامل الثاني: يخص جانب الصلح وهو اللجوء إليه عرفا إلى الزاوية هروبا من القضاء وتكاليفه وعلانيته وما يخلفه من أحقاد وضغائن في نتائجه من خلال إجراءات التنفيذ، لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لولاته:" ردوا الخصوم حتى يصطلحوا لأن فصل القضاء يورث الضغائن بين الناس"(**رواه عبد الرزق 304/8، والبيهقي 66/6،ح11694، وبن أبي شيبة 213/7، ح23349**).

أيضا لجوء السلطة إلى المؤسسات الدينية وقياداتها: فقد تفشل السلطة في فك النزاع فتستنجد بشيوخ الزوايا مثلا في حالة النزاع التي ذكرناها، و حدثت سنة 2002 في عرش الزناخرة، عندما قصدهم شيخ الزاوية معزيا وطلب منه ضابط الدرك الوطني أنذاك بالقيام بدور الصلح.

وكما طلبت السلطات الممثلة في والي باتنة ووالي التيطري والمحافظ، غداة الاستقلال، من الشيخ خليل القاسمي التدخل لحل النزاع بين قبيلتين في أولاد جلال، بعدما فشلت.

العامل الثالث : هو العامل الاقتصادي والمتمثل في مصادر تمويل الزاوية فلا تستطيع الزاوية الحفاظ على كيانها وبقائها إلاّ من خلال السعي الحثيث وراء مصاد ر للتمويل، وإلاّ كان مصيرها الفناء، فزاوية الهامل لها ثروة كبيرة وأوقاف عديدة تركها الشيخ المؤسس، إضافة نفقات المحسنين، والزيارات، كما تقدم في مصادر تمويل الزاوية.

العامل الرابع: يتمثل في صدق نوايا الزاوية مع المجتمع واكتسابها لثقته نتيجة ما قدمته من خدمات تجاهه، في العمل على تعليمه، والتقليل من الفوارق الاجتماعية بين مختلف الطبقات والشرائح، فقربت بين العلماء والعامة، الأغنياء والفقراء، لأجل وحدته.

4. خاتمة:

وفي الأخير نتائج الدراسة التي توصلنا إليها كالتالي:

– جاء تأكيد رسالة الزاوية على توحيد أبناء الشعب الجزائري وتوثيق روابط الأخوة لديه وتماسكه كرد فعل على سياسة الاحتلال الفرنسي، (فرق تسد) وما تركته من آثار سلبية، فسعت وبادرت إلى إصلاح ذات البين في العديد من النزاعات والخصومات بين الأعراش والقبائل والتي كانت تفضي إلى إزهاق الأرواح والثأر والقطيعة، وهذا بغض النظر عن سعيها في حالات الصلح بين الأزواج وبين الأسر فهي كثيرة، كما شددت الزاوية في جل ملتقياتها وتظاهراتها التي أجرتها خارج وداخل الزاوية على ضرورة توحد الجهود لنبذ الطائفية والعرقية والتطرف ودرء الفتن التي تفكك الأسر والجماعات وتريق الدماء وتهلك الممتلكات.

– للزاوية كل الفضل في إعداد وثيقة مرجعية **(الملحق رقم: 1)** في مجال نشر قيم التسامح وثقافة السلم، وبث روح الأخوة والإصلاح بين الناس، وتوزيعها على مختلف الزوايا الرحمانية بالجزائر، لاعتمادها في حديثهم وفي مجالسهم، باعتبارها رئيسة الرابطة الرحمانية للزوايا العلمية، مساهمة منها بما تستطيع، درءا للفتن وحرصا على بقاء المجتمع متماسكا، متضامنا، بفضل التحام القيم الدينية الروحية والقيم الوطنية السائدة.

– عملت الزاوية على إعداد ميثاق الأخوة المالكية الإباضية منذ الأحداث الأولى التي شهدتها منطقة القرارة، وأرسلته إلى الهيئات الدينية والعلمية والمؤسسات الاجتماعية والخيرية في ولاية غرداية، وكان الهدف من مشروع الميثاق: أن يكون معيارا أخلاقيا وميزانا ثابتا لتحصين النسيج الاجتماعي المتنوع في هذه المنطقة، وتوثيق أواصره، وحمايته من التصدع والانحراف، كما يكون الإطار الملائم الذي يحدد العلاقات بين القائمة بين الجماعتين المالكية والإباضية ويوضح في بنوده جميع الجوانب التي تتعزز بها مقومات الأخوة والتعاون بينهم، فضلا عن المبادئ والقواعد التي تضبط علاقات التعايش وحسن الجوار بين سكان المنطقة بعيدا عن العوامل المفضية إلى التعصب المقيت.

– ومن نتائج الدراسة تبينا أهمية الدين في المجتمع من خلال الوظائف التي يؤديها تجاهه، كفاعليته في الضبط الاجتماعي ووحدة الجماعة، وفق القيم الدينية والوطنية، وعن هذه الوظائف يقول دراز: " فلا حاجة بنا إلى التنبيه إلى أنّ الحياة في جماعة ما، لا قيام لها إلاّ بالتعاون بين أعضائها، وانّ هذا التعاون إنما يتم بقانون ينظم علاقاته ويحدد حقوقة وواجباته، وأنّ هذا القانون لا غنى له عن سلطان نازع وازع، والذي نريد أن نثبته هنا، هو أنه ليس على وجه الأرض، قوة تكافئ قوة التدين ... في كفالة احترام القانون وضمان تماسك المجتمع واستقرار نظامه"**(دراز، 1982 ، ص 98، 99)**.

فالزاوية كمؤسسة دينية و من خلال ما أضفاه عليها الدين من طابع القدسية الذي أكسبها الهيبة والتقدير وكفل لها الطاعة والولاء لقياداتها، استطاعت القيام بهذه الوظائف والحفاظ على استقرار المجتمع وقوته متضامنا متماسكا.

وفي هذا، يبين سبنسر دور المؤسسات الدينية في الحفاظ على الروابط الاجتماعية وتقويتها، ويؤكد على تقييمها على أساس درجات إسهامها في حفظ الجماعة الاجتماعية التي تظهر في سياقها. **(مجموعة من الكتاب، العدد 223، ص 187)**

وما نؤكد عليه من اقتراحات هنا هو ضرورة المزيد من البحث والاستقصاء حول موضوع فك النزاعات والإصلاح بين المتخاصمين، نظرا لأهميته الكبيرة في الحفاظ على وحدة المجتمع وتماسكه،

هذا الدور المهم الذي تقوم به المؤسسات والقيادات الدينية والنخب ومختلف الهيئات، لم يستوفي حقه من الكتابة والدراسات بل يكاد يكون مغيبا، على خلاف الأدوار التربوية والاجتماعية الأخرى التي وجدنا لها تفاصيل عملية في ثنايا الدراسات التي كتبت عنها.

فأغلب زوايا الجزائر قامت بحل نزاعات كثيرة، نسمع عنها من روايات شفوية متواترة، لكن عندما نرجع لثنايا الكتب لا نجد تفاصيل الصلح، ويكتفي المؤلفون بذكر أن الزاوية الفلانية قامت بدور إصلاح ذات البين وانتهى.

أيضا ضرورة التقدير والاهتمام بمثل هذه الزاوية، هذا الصرح الحضاري الكبير، نظيرا لما قدمته للمجتمع حفاظا على وحدته كلا متكاملا متماسكا وما تقدمه، منذ تأسيسها على يد الشيخ محمد بن أبي القاسم إلى يوم الناس هذا، والقائم عليها الآن الشيخ محمد المأمون القاسمي، حفظه الله.

5. المراجع:

القرآن الكريم:

السنة النبوية:

1- **صحيح البخاري** ، كتاب الصلح، باب ليس الكاذب الذي يصلح بين النّاس 240/3.

2- **صحيح مسلم**، كتاب البر والصلة، باب النهي عن الشحناء والتشاجر، 292/4.

3- البيهقي ، **السنن الكبرى**، كتاب الصلح، باب ماجاء في التحلل، 66/6.

4- عبد الرزق، **المصنف**، 304/8.

5- بن أبي شيبة، **مصنف**،:213/7.

الكتب:

العربية:

6- عبد الله سليمان، **شرح قانون العقوبات الجزائري**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط3، 1995، ص52

7- **مجموعة من الكتاب: نظرية الثقافة، ترجمة: علي سيد صاوي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 223، وزارة الإعلام الكويتية**، ص 187.

8- محمد عبيدات وآخرون، **منهجية البحث العلمي**، دار وائل، ط2، 1999م، عمَّان،ص47.

9- مصطفى ربحي عليان وآخر، **مناهج وأساليب البحث العلمي**، دار صفاء، ط1، 2000م، عمان،ص43.

10- عبد الغني عماد، **منهجية البحث في علم الاجتماع**، دار الطليعة، ط1، 2007، بيروت،ص72.

11- بن منظور، **لسان العرب**، دار صادر، المجلد العاشر، د ط، 1968، بيروت،517.

12- محمد بن عرفة، **المختصر الفقهي**، مسجد ومركز الفاروق، ط1، 2014، الإمارات العربية المتحدة،477.

13- **محمد السيد عرفة، التحكيم و الصلح و تطبيقاتهما في المجال الجنائي، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية، الطبعة الأولى، 2006، الرياض،161-191.**

14- **يسري عبد العليم عجور، الصلح في ضوء الكتاب والسنة، مؤسسة العلياء، الطبعة الأولى، 2012، القاهرة،ص685،162-695.**

15- **محمد عبد الله دراز: الدين، دار القلم، ط1، 1982، الكويت، ص 98، 99.**

16- جون بول ويلام: الأديان في علم الاجتماع، تر: بسمة علي بدران، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط**1**، **2001**، بيروت،ص**26**.

17- علي ليلة: النظرية الاجتماعية وقضايا المجتمع"آليات التماسك الاجتماعي، المكتبة الأنجلو المصرية، دط، **2015**، مصر، ص**74**،**73**،**85**،**65**،**64**.

18- محمد أركون: تحرير الوعي الإسلامي، نحو الخروج من السياجات الدوغمائية، ترجمة: بهيج شعبان، ط**1987**،**1**، بيروت،ص79.

19- السمالوطي نبيل محمد توفيق: الدين والبناء الاجتماعي، دار الشروق، ط**1**، **1981**، جدة، ج**2**،ص**136**،**135**.

20- محمد عابد الجابري: الدين والدولة وتطبيق الشريعة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط**1**، **1996**، بيروت،ص**118**

21- مهدي محمد القصاص، علم الاجتماع الديني، ددن، دط، **2008**، القاهرة،ص84.

22- سامية الخشاب: دراسات في علم الاجتماع الديني، دار المعارف، ط**1**، **1988**م، مصر، ص **102**،**101**

23- **القاسمي الحسني عبد المنعم، زاوية الهامل مسيرة قرن من العطاء و الجهاد**، دار خليل القاسمي، ط2، 2013، الجزائر.

24- عبد الكريم عروي، الطرق البديلة في حل النزاعات القضائية " الصلح والوساطة القضائية"، مذكرة ماجستير، حقوق، جامعة الجزائر1، 2012، الجزائر،ص18.

25- عبد الله نوح، المؤسسات العرفية بمنطقتي القبائل ووادي ميزاب : طريقة أصيلة، بديلة وفعالة لحل النزاعات بواسطة الصلح، الملتقى الدولي، الطرق البديلة لحل النزاعات، ماي**2014**،حوليات جامعة الجزائر**1**، العدد **03**،ص**12**،**11**

الأجنبية:

26- Lehraux Leon **:Bou Saada Viile du bonheur** ED oflac ,Aljer 1952 P81.

6. الملاحق:

الملحق رقم –01– الوثيقة المرجعية التي اعتمدها شيخ الزاوية الحالي مأمون القاسمي للزوايا الرحمانية ومتضمنة رسالة الشيخ المؤسس للإخوان الإباضيين كنموذج عن إحدى شعب رسالة الزاوية وهو الصلح.

02– مبادئ ومنطلقات

تلكم بعض المبادئ التي ترتكز عليها رسالة الزاوية في نشرها قيم التسامح، وفي عملها للتقريب والتوفيق، وإصلاح ذات البَين، وفي سعيها لإشاعة روح الأخوّة والمحبّة والسلام، ودرء المخاطر التي تهدّد وحدة المجتمع وانسجامه؛ ليبقى قويّ الأركان، متماسك البنيان.

ولعلّ خير مثال نعرضه، في هذا السياق، الرسالة التي كتبها الشيخ سيّدي محمّد بن أبي القاسم، مؤسّس الزاوية القاسمية، إلى علماء الإباضية؛ على إثر حديث افتراه عليه جاهل أعماه التعصّب، ونفخ فيه الشيطان من روحه؛ فسارع الشيخ، إلى قطع دابر الفتنة، قبل انتشارها؛ داعيا إلى التحلّي بروح الأخوّة والتّسامح بين طوائف الأمة ومكوّنات المجتمع؛ ونبذ التعصب والتنازع. وأشاد في رسالته بإخواننا الإباضيين، منوّها بما عُرف عنهم من تعظيم حرمات الإسلام، وإقامة شعائر الدين، وتسامح مع المخالفين؛ مذكّرا بأنّ المسلمين أمة واحدة، رابطة الإسلام تجمعهم، وعروته الوثقى تؤلّف بينهم.

والرسالة تكتسي أهميتها من موضوعها؛ ففيها عبر وعظات، نحتاج إلى دروسها في واقعنا اليوم. كما تستمدّ قيمتها من مقام صاحبها؛ فهو العالم الربّاني الذي أحيا الله به البلاد، وأصلح بهديه أحوال العباد؛ وامتدّ نفوذه الروحي عبر أنحاء الوطن؛ وانتشر ذكره، خارج الوطن.

ويبدو أن الشخص المفتري، المشار إليه في الرسالة، قد نشر أباطيله، في بعض أوساط العامة، محرضًا على استباحة أموال الإباضيين؛ باعتبارهم، في زعمه، خارجين عن الملّة. ولذلك ركّز الشيخ في رسالته على التحذير من الجرأة على الله، وتحكيم الأهواء، وتضليل العامة، بما يفضي إلى الظلم والعدوان، وأكل أموال الناس بالباطل؛ وإثارة الفتنة بين الأهالي.

حرّر الشيخ رسالته، بتاريخ الرابع والعشرين من المحرم عام 1310هـ؛ كما هو مدوّن في آخرها.وقد أشار ناسخها، في وثيقة مصاحبة، إلى الظروف التي كُتبت فيها؛ وقال في آخرها: «وقد سلّمنا الرسالة للأخ في الله الفاضل السّيّد باحمد بن موسى بن عيسى، الإباضي مذهبا، المليكي منشأ ومسكنا.. »كما نُشرت رسالة الشيخ بين الأهالي، في مدن يوجد بها تجار من وادي ميزاب؛ كقصر البخاري، وقصر الشلالة، والخلفة، وبوسعادة..الخ.

وفيما يلي، أستعرض مقتطفات من الرسالة، مع تعليق موجز عليها. وكما يلاحظ على خطاب الشيخ، فإنه يبدو، وكأنّه موجّه إلى مجتمعات المسلمين في حاضرهم اليوم.

لقد ورد في رسالة الشيخ إنكاره تكفير المسلمين، أو انتقاص طائفة منهم. ومما جاء في ذلك قوله، رحمه الله: «..مذهبنا أنّه لا يُكفّرُ أحدٌ بذنب من أهل القبلة..» إلى أن يقول: «..إطلاق اللسان في انتقاص المسلمين وتضليلهم وتكفيرهم جُرأة عظيمة على الله تعالى؛ وخروج عن جادة الاستقامة، وخرق سياج يتعسّر رتقه، وفتح باب فتنة يتعذّر غلقه..».

وفي التحذير من عاقبة الفتوى بغير علم، وإغراء أهل الأهواء بما يشتهون، يقول:«... يفتون من كان أكبر همّهم النهب والسلب؛ ولا يبالون من أين أخذوا، ولا من أين اكتسبوا؛ إذ لا ورع لهم يحجزهم عن المحارم؛ ولا وازع من دين يكفّهم عن المآثم؛ خصوصا في هذا الزمان، الذي قلّ خيره، وكثُر شرّه، إلاّ من حفظه الله تعالى.

وفي تحميل الاثم وتبعات المسؤولية كلّ من أفتى بما يُفضي إلى ظلم أو عدوان، يقول الشيخ:«.. ومن أتلف شيئا بفتواه، فكأنما أتلفه بيده..». وهذا الحكم، كما هو واضح، ينطبق على كل من أفتى باستباحة الدماء والأموال والأعراض. فمن تجرّأ على شيء من ذلك، فكأنما هو من قتل نفسا بغير حق، أو أكل أموال الناس بالباطل، أو كان منتهكا للأعراض والحرمات.

وعن عصمة الدماء والأموال، وتحريم الظلم بين الناس، يقول: «.. فمن كان معصوم الدم والمال، فكيف يسوغ إباحة ماله.. » ثم يضيف قوله: «.. كيف نرضى بالظلم، وهو محرّم في جميع الشرائع، مذموم عند كافة العقلاء.. » إلى أن يقول: «.. وهل رأيتم أحدا أضمر الشرّ لخلق الله، أو ظلمهم، أو رضي بظلمهم، أو سعى في شيء من الفساد في الأرض، قد أفلح قط؟.. والسرقة والاختلاس من أخسّ الرذائل؛ بل من أقبح الفواحش..».

أما عن حبّه الخير للناس جميعا، فيقول: «..وأنا، بحمد الله تعالى، محبّ لجميع الأمة المحمدية، مشفق عليها، أحبّ لها الخير؛ ولا أرضى ضررا لأحد من أهل القبلة، كائنا من كان..».

وفي خطابه للإخوان الإباضية، قال: «..ويبلغنا عنكم أنّكم محتاطون في الدين، تحبّون العدل؛ وتكرهون الظلم؛ وتعظّمون حرمات الإسلام؛ وتقيمون شعائر الدين ....وهذا الذي أخبرناكم به هو الذي نعتقده؛ وندين الله تعالى به؛ فمن بلّغكم عنا غير هذا، فقد أعظم علينا الفرية؛ ويوشك أن يهلكه الله تعالى..».

وأخيرا، جاء في خطابه لجميع الأهالي، قوله: «..فلتعلموا أنّ ما أخبركم به هذا المفتري الكذّاب لا أصل له؛ وأنا أبرأ إلى الله تعالى منه. فإذا سمعتم من يتقوّل ويختلق مثل هذا الحديث عني، أو عن أحد من أئمة المسلمين، فاطردوه واشتموه؛ فإنه فاجر متهوّر، متلاعب بدينه، لا يبالي بما يقول ولا بما يفعل. فإني أكره التعصّب للمذاهب، وقولهم: فلان على الحق، وفلان على الباطل؛ وعندي أن الحقّ من اتّبع الكتاب والسنة، وعمل بما فيهما؛ فقد تقرّرت القواعد، وتأصّلت المذاهب؛ وقلّد كل فريق إمام مذهبه؛ وانقطع النزاع؛ ومرجع الخلق كلّهم إلى الله، وحسابهم عليه. فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره».

وختم رسالته، قدس الله سرّه، بقوله: «..وفيّ هذا كفاية لمن تذكّر، وتبصرة لمن تبصّر؛ والله يقول الحق، وهو يهدي السبيل..».

- حضرات السّادة والسّيدات؛

هذا هو خطاب أسلافنا بالأمس؛ وهو خطابنا اليوم وفي كل حين ؛ وهذا هو نهج الزاوية في أداء رسالتها، عبر السنين؛ فهي لا تألو جهدا في سبيل الإصلاح بين الناس، والتوفيق بينهم، حتى لا تتعارض مصالحهم، وتتضارب أهواؤهم؛ وهي تفعل ذلك استجابة لله؛ وتأسّيا برسول الله، صلى الله عليه وسلم، في هدايته وإصلاحه، وفي رحمته وإحسانه.

وقد اتّسع نطاق هذا المسعى، وتعدّدت وسائله؛ خلال أوقات المحنة التي عشناها في السنوات الماضية، وشهدنا فيها انحراف فئات من مجتمعنا عن طريق الرشاد، جهلوا مقاصد الدين، وضلّوا عن سواء السبيل. فكان من أولويات الزاوية العمل للقضاء على أسباب الفتن؛ حتّى يتحقق الاستقرار ويستتبّ الأمن؛ عملا بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي تعلّمنا من سيرته، كيف يجب على المسلمين المسارعة إلى درء الشرّ عن جماعتهم.فقد رُوي أنه، صلى الله عليه وسلم، لمّا بلغه ما حصل بين بعض طوائف المسلمين من النزاع، خرج إليهم بنفسه، ومعه بعض أصحابه، وتأخّر عن الصلاة بالناس، بسبب ذلك، حتى سوّى مابين المتنازعين.

إنّ مسعانا للإصلاح بين الناس يشمل الأفراد والجماعات؛ كلّ حسب مقتضيات الحال، ودواعي الصراع والنزاع. ويمتدّ هذا المسعى، عبر الزمان والمكان، ليتناول الخلافات العائلية، والنزاعات العقارية، والثارات القبلية، والآثار السيئة للصراعات، التي تتجدد، في كل دورة من الانتخابات المحلية.

فأمّا النزاعات بين الأعراش والجماعات، فتنشأ لأسباب مختلفة؛ وفي طليعتها النّزاع على الحدود، في الأراضي الزراعية والرعوية؛ وقد يسقط بسببها ضحايا من الفريقين؛ فيحرّش الشيطان بينهم، ويمكّن للبغضاء في نفوسهم، فتقوى روح العداوة وإرادة الانتقام لديهم. ويأتي تدخّل الزاوية لتسوية النزاع، وعقد الصلح بينهم؛ فيتواصلون ويتسامحون، وقد كانوا متحافين لا يلتقون ولا يتزاورون.

وأمّا الصراعات التي تنشأ عن التنافسات الضيّقة، بمناسبة الانتخابات المحلية، فتترك أحيانا آثارها البليغة، في بعض الفئات، وتحدث فيها تصدّعات وانقسامات، تتحوّل مع الأيام، إلى شحناء وعداوات، بين أبناء البلدة الواحدة، وأحيانا داخل الأسرة الواحدة. وهذه الأوضاع يتمّ التعامل معها، بالأسلوب المناسب لها؛ ويكلّل المسعى بالنجاح والتوفيق بين الفرقاء؛ وينتهي الأمر بتصالحهم، والتئام شملهم، بعد تفرّقهم؛ وأحيانا بعد طول قطيعتهم.

أمّا بشأن الأزمات الاجتماعية؛ فقد سخّرت الزاوية، لمعالجتها جملة من الوسائل، كانت غايتها تهدئة النفوس، وإطفاء نار الفتنة، وإثارة الإحساس بالمخاطر التي تتهدّد الأمة، في وحدتها وكيانها. وانصبّت الجهود على تعبئة ذوي الإرادات الخيّرة، وشحذ هممهم، ليكونوا دعاة إلى نبذ النعرة العرقية، والنزعة الجهوية، والتصدّي للدعوات المشبوهة المفرّقة، والعمل لاستعادة الألفة، وتقوية اللحمة.

وسواء تعلق الأمر بتداعيات المأساة الوطنية، أو الفتن والنزاعات، بوجه عام؛ ومنها فتنة منطقة القبائل، فقد استعانت الزاوية في مسعاها بنخبة من قدماء طلبتها، وبكبار رجال الطريقة الرحمانية الّذين وضعت بين أيديهم وثيقة مرجعية، تضمّنت الدعوة إلى رأب الصّدع، وجمع الكلمة ونبذ الغلوّ والتعصب، ومقاومة العنف والتطرّف؛ والعمل لنشر السّلام بين أفراد المجتمع، والمحافظة على وحدته وتماسكه.

03-من أجل الحفاظ على الوحدة الجامعة.

وقد يفيد، في هذا السياق، أن نورد بعضا من فقرات الوثيقة، على سبيل الإعلام:

■التذكير بأن الأخوّة هي الرابطة الوثقى بين المسلمين، وممّا يترتّب عليها أن يكون الحب والسلام، والتعاون والوحدة، هي الأصل في الجماعة المسلمة، وأن يكون الخلاف هو الاستثناء، الذي يجب أن يردّ إلى أصله، فور وقوعه، محافظة على الكيان العام لجماعة المسلمين، وإبقاء لعلاقات المودّة والإخاء فيما بينهم، وحفظا لمجتمعهم من عواقب التفكّك والخصام، تحت تأثير النزوات والاندفاعات. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ إنما المؤمنون إخوة، فأصلحوا بين أخويكم، واتّقوا الله لعلكم ترحمون﴾ الحجرات/10.

■التذكير بأنّ الإصلاح محبّب إلى الله، يوجب الثناء والثواب، في العاجل والآجل. يقول سبحانه وتعالى: ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس. ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما ﴾ النساء/ 114 . فالذي يصل بين المؤمنين، ويصلح ذات البَين، يعدّ عمله أفضل من كثير من القربات. وقد أخبر الصادق المصدوق أنّ الله سبحانه، أعدّ ثوابا جزيلا، يزيد على ثواب الصلاة والصدقة والصيام، للباذلين جهدهم في رأب الصّدع، والإصلاح بين الناس. عن أبي الدرداء، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«ألا أخبركم بأفضل من درجة الصلاة والصدقة والصيام؟ قالوا: بلى.قال: إصلاح ذات البين. فإنّ فساد ذات البين هي الحالقة. لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين». وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنها خصلة ذميمة تذهب بخيري الدنيا والآخرة. إنها حالقة الدين، لأنها تحلق الإيمان والأخوّة والفضيلة، وتزيل كل خير وهداية، وتجعل المتنافرين بعيدين عن آداب الإسلام وقيمه، جاحدين فضله، منكرين تعاليمه.

■العمل لكي تبقى رسالة الزوايا جامعة هادية؛ تنشر قيم التعاون والتضامن، وتشيع روح الأخوّة والتسامح؛ وتجعل من الدعوة إلى نبذ الغلوّ والتعصّب، ومقاومة العنف والتطرّف، دعوة مستمرة، ورسالة يومية، تنتهج فيها السّبل المتاحة، وتستثمر الوسائل الممكنة، لإطفاء نار الفتن والخصومات، وإحكام روابط الألفة والوئام، والسعي في إصلاح أحوال الأمة، وجمع كلمتها وتعزيز وحدتها وتلاحمها، وتوطيد أواصر الأخوّة بين أبنائها.

■مساندة مسيرة المصالحة، وتعزيز الخطوات الّتي قطعت في سبيل إطفاء جمر المحنة، وإخماد نار الفتنة؛ والدعوة إلى مضاعفة الجهود، لإخراج شعبنا من ظلمات الخوف والإرهاب، إلى أنوار الأمن والاطمئنان؛ فيعود إلى وضعه الصحيح، أسرة واحدة، تجمعه المحبّة، ويسوده الإخاء. فالأمّة تستطيع أن تستعيد عافيتها وقوّتها، إذا هي تفرّغت من شأن نفسها، وتخلّصت من السخائم فيما بينها، وتطهّرت من أدران الحقد والبغضاء، ومن أغلال التناحر والشحناء.

■ التذكير بأنّ الوطن لجميع أبنائه، يعيشون في أيّ بقعة من أرضه، تتكافأ فيه فرصهم، وتتساوى حقوقهم، على اختلاف جهاتهم وانتماءاتهم، وتعدّد ألسنتهم، وتنوّع اختياراتهم. لغة القرآن توحّد فكرهم وخطابهم؛ ورابطة الإسلام تجمعهم وتؤلف بينهم؛ فما كان إلاّ الإسلام وحده، ليجمع النفوس المتنافرة؛ وما كان إلاّ حبل الله يعتصم به الجميع، فيصبحون بنعمته إخوانا؛ وما يمكن أن يجمع القلوب إلاّ أخوّة الإيمان، تصغر إلى جانبها وتمحّي الأحقاد التاريخية، والثارات القبلية، والنعرات العرقية، والرايات العنصرية، والنزعات الفردية، والأطماع الشخصية.

حضرات السّادة والسيدات

إنّ ما نسعى له وندعو إليه هو العمل، بجدّ وعزم، لاستدراك مواطن الخلل في مسيرتنا، وإصلاح أحوالنا، بتغيير ما بأنفسنا؛وتلك سنة الله. فمن دينه نستمدّ الأحكام؛ وبدعوته تستقيم الأحوال. والله تعالى يقول: {إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ }الرعد11. والتغيير الصحيح، في تقديرنا، تبدأ خطواته الأولى بالتصالح مع الذات؛ والعمل لبناء المستقبل على أسس متينة، وقواعد صحيحة، ترتكز على القيم الروحية والوطنية، التي كان التحامها سرّ تماسك مجتمعنا، عبر الأجيال؛ ولاسيما في أوقات المحن والشدائد في عهد الاحتلال.

04-الخاتمة.

وفي ختام هذا الحديث عن نشر قيم التسامح وإشاعة السّلام، انطلاقا من مبادئ الإسلام؛ لابدّ من الإشارة إلى ما يشهده عالمنا اليوم من انحلال الروابط الإنسانية في مجتمعاته، واختلال الموازين في العلاقات الدولية بين شعوبه. وقد بذلت جهود ومحاولات، لترميم هذه العلاقات، وتصحيح ما اختلّ من المسارات، لكنها فشلت كلّها، مثلما أخفقت جهود الحوار بين الثقافات والحضارات؛ لأنها تجري في ظلّ ازدواجية المعايير، وسياسة الكيل بمكيالين؛ وهي سياسة تنتهجها دول عظمى تهيمن على العالم؛ وتسيطر على منظّماته الدولية؛ وتتحكّم في مؤسّساتها الإنسانية والسياسية.

ونحن نعتقد أنّ أيّ حوار لن تكون له جدواه، ولن يؤتي ثماره ويبلغ مرماه، إلاّ باعتماد منظومة قيم أخلاقية متوازنة، تكون قاعدة لتعاون مثمر بين شعوب العالم، على اختلاف أنظمتها، وتباين مناهجها واختياراتها.

وفي تقديرنا أنّ القيم الإنسانية في الإسلام، والتعاليم السمحة لنظامه المتكامل، تشكّل منهجا قويما، وركيزة أساسية لمنظومة متكاملة، تكون معيارا أخلاقيا، وميزانا ثابتا، يحترمه الجميع، ويلتزم به الجميع؛ فيرجعون إليه، في جميع أوضاعهم؛ ويقيمون عليه علاقاتهم؛ ويقوّمون، في ضوئه أعمالهم ومعاملاتهم؛ بعيدا عن النزوات والأهواء، واختلاف الأمزجة والنوازع الشخصية، وتعارض المصالح وتصادم المنافع الذاتية.

إنّ لدينا، نحن المسلمين، أعظم ذخيرة من القيم الروحية والخلقية والعلمية والتربوية والاجتماعية؛ فإذا أفدنا منها، كما أفاد منها أسلافنا، كان بإمكاننا أن نسهم بالحظ الأوفر في إصلاح العالم، وتقويم مساره، وإنقاذه من المظالم التي طغت على شعوبه، وإشاعة روح التسامح والتعاون في مجتمعاته.

إنّ الإنسان، أينما كان، بحاجة إلى البعد الروحي، ليحقّق توازنه، ولتستقيم أحواله. ولن يعود إليه هذا التوازن إلاّ يوم يستقيم على عبادة الله وحده؛ فلا يخضع إلاّ لله؛ ولا يعتصم إلاّ بحبل الله؛ ولا يسبحّ بحمد أحد إلاّ بحمد الله.

فما أحوج البشرية إلى هداية الإسلام، لتخرج من الظلمات إلى النور، فتتحرّر من عبودية الدنيا، وترتقي إلى عبودية الله. ﴿ومن يعتصم بالله، فقد هدي إلى صراط مستقيم﴾ آل عمران/10.

هذا؛ والله نسأل ان يجعل يومنا خيرا من أمسنا، وغدنا خيرا من يومنا؛ وان يجمع قلوبنا على التقى، ونفوسنا على الهدى، وعزائمنا على الرشد وعلى حب الخير وخير العمل.

والله ولي الإعانة والتوفيق

جمادى الثانية 1432 هـ
مـــــــاي 2011 م

خادم العلم الشريف في المقام القاسمي
محمّد المأمون مصطفى القاسمي الحسني